واحدة من أعتى الالات الحربية في عالمنا اليوم !!

لقد ورد في الصحافة الاسرائيلية ان اسرائيل قد أصيبت « بصدمة » عندما تبين لديها ان سكان المناطق المحتلة قد شعروا بالابتهاج لحصيلة عملية ميونيخ الفدائية . ولكن الفلسطينيين يوضحون موقفهم قائلين : « اننا لم نبتهج لمقتل الرياضيين الاسرائيليين **بحد ذاته** ، بل ان مبعث ابتهاجنا هو موقف رجالنا الذين عندما أيقنوا أنهم تعرضوا للخديعة رفضوا ان يذبحوا ذبح الخراف . لقد أطلق رجالنا النار دفاعا عن النفس بعد ان حصد الالمان ثلاثة من الفدائيين » .

وكان الابتهاج قد شاع بين سكان المناطق المحتلة في وقت سابق من هذه السنة عندما أقدم اربعة من الفدائيين على اختطاف طائرة الى مطار اللد في محاولة لتأمين الافراج عن عدد من آلاف الفلسطينيين المحتجزين في السجون الاسرائيلية . ولكن الفرح سرعان ما انقلب الى غيظ وأسى عندما خدع الاسرائيليون الفدائيين ، مستغلين راية الصليب الاحمر الدولي ، وقتلوا اثنين منهم . وكذلك عندما قام ثلاثة من المسلحين اليابانيين ، بعد اسابيع قليلة من حادث طائرة السابينا ، « بالانتقام لفدائيينا » في الموقع ذاته عم الابتهاج مرة اخرى السكان ، وان كان قد شاب هذا الابتهاج « شعور بالاسف لان بعض الضحايا كانوا من غير الإسرائيليين » .

هذا ، ولم يخف سكان القدس الشرقية شعورهم بالارتياح والرضى عندما انفجرت قنبلة في مخزن « السوبر سول » في القدس الغربية في اليوم التالي لوصولي القدس في زيارتي الاخيرة هذه .

وعندما أقام الاسرائيليون في عيد رأس سنتهم الجديدة صلوات الاستسقاء داعين لهطول المطر كانت ردة فعل الفلسطينيين : « فليعم الجفاف ويشتد ، حتى وان لحق بمواسم محاصيلنا القحط » . وقد قال لي محام من القدس : « اننا نقبع تحت حكم الاسرائيليين مثلما رضخت جميع الشعوب المقهورة والمستعمرة عبر التاريخ ، شأن الاوروبيين تحت الاحتلال النازي ، والهنود في ظل الحكم البريطاني ، وسكان افريقيا الجنوبية السود تحت وطأة سيطرة البيض » .

ومن ناحية اخرى ، تستمر في القدس العربية وفي المدينة القديمة عملية التحويل والتهويد بخطوات محمومة ودون وازع من حياء او خجل ، اذ تجري على قدم وساق عمليات مصادرة الممتلكات والاراضي واخلائها من سكانها عنوة ، وتبدل الممتلكات العربية وتشييد عمارات مكانها وفق طراز « الاستعمار الجديد » . وعندما يرفض العرب بعناد تسليم بيوتهم التي تقرر مصادرتها ، وعندما يرفضون استلام التعويض المقرر عنها ، ويصرون على حقهم في مواصلة العيش في القدس ، تتحرك فرق الهدم عندما تعطى لها الاشارة ، لتعمل في البيوت المصادرة هدما وتدميرا . فهذا ما حدث مؤخرا قبل اسابيع معدودة من زيارتي هذه مع محمد عبدالله الصواف الخباز في ما يدعونه الحي اليهودي داخل المدينة القديمة . فقد تلقى الصواف أمرا باخلاء بيته الذي يشاركه السكنى فيه ٢٦ من افراد عائلته ، فرفض الامر بالاخلاء واحتج عليه لدى السلطات الاسرائيلية . وقد ابرز لي رسالتين تلقاهما من المسؤولين الاسرائيليين ، احداهما من وزير الدفاع موشي دايان والثانية من رئيسة الوزراء غولدا مئير ، وكلا الرسالتين تؤكدان له انه ما من احد لديه الحق في طرده هو واسرته من منزلهم . ولكن بعد انقضاء زهاء اربع وعشرين ساعة جرى طرده هو وعائلته من بيتهم العربي العتيق الذي استحال في دقائق معدودة الى كومة من الركام .

وفي منازل اخرى في تلك المنطقة ابرزت لي العائلات العربية رزما من الاشعارات التي تلقوها من السلطات الاسرائيلية للحضور الى دار البلدية « ليتلافوا اتخاذ العقوبات القانونية بحقهم » . وقد جرى اشعارهم باخلاء بيوتهم في بادىء الامر في عام ١٩٦٨ عندما تم اتخاذ القرار بمصادرتها . ولكنهم تجاهلوا ذلك الامر كما تجاهلوا ما تلاه من اشعارات واستدعاءات للمثول امام السلطات المختصة . فهم متشبثون ببيوتهم وبحقوقهم آملين أن يحل السلام أو أن تحدث معجزة ما لتقذهم قبل ان تهوي المقصلة على رقابهم !! وهم يقولون انهم لن يخلوا بيوتهم الا اذا طردوا منها بالقوة .

الكآبة والتجهم ... الصمت الذي ينم عن الخوف او الشعور بالعجز ... والغيظ المكتوم ... والتعاون المحدود مع العدو فيما يثبت أودهم ويحفظهم على قيد الحياة ... هذه جميعها مما يعتبرها الاسرائيليون وأعوانهم او بعض الزوار الاغرار او المغرضين المتحاملين على انها كناية عن قبول سكان المناطق المحتلة بالاوضاع ورضاهم عنها .